

## المبحث الرابع :

الصوفية، وسبل مواجعتهم

## المبحث الرابع الصوفية، وسبل مواجعتهم

الصوفية أحد الأصناف الذين تقترحهم (راند) ضمن الشبكات الإسلامية (المعتدلة)؛ ليقوموا بمواجهة الإسلام بتطبيقه الصحيح، القائم على الكتاب والسنة، والملتزم بهما، ويقوموا كذلك بتعزيز الجهود الداعية إلى الديمقراطية، وغير ذلك من الأهداف التي يسعى الغرب إلى تحقيقها.

وفيما يلي أربعة مطالب، تتضمن: التعريف بالصوفية، وبيان رصد (راند) لانتشار الصوفية في العالم الإسلامي ورصدها موقف أهل السنة منها، ودعوتها إلى دعم التصوف ونشره، وبيان أسباب اختيار الغرب للصوفية.

## المطلب الأول: تعريف الصوفية، ونشأتها، وأصولها:

### أولاً: تعريف الصوفية:

يتعدد تعريف الصوفية تعدداً كبيراً مختلفاً، أوصله بعضهم إلى ألفي تعريف<sup>(١)</sup>، ذلك أن للصوفية في كل عصر تعريفاً وحالاً مختلفاً؛ وهذا الاختلاف سببه أن الصوفية لم تلزم نهجاً واحداً، بل تطورت واختلفت منذ نشأتها، وحتى الوقت الحاضر.

وأجمع ما وقف عليه الباحث من تعريفات الصوفية تعريف د. سهل العتيبي: الصوفية: أولها كان انقطاعاً للعبادة وزهداً في الدنيا، ثم صارت حركات ومظاهر خالية من العبادة، ثم صارت إلحاداً وخروجاً عن دين الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

والتصوف خليط من الاعتقادات الباطلة من شتى الأديان المحرّفة والضالة، فبعضها من اليهودية الباغية، أو المجوسية الماجنة، أو الوثنية الجاحدة، فله من كل نحلة مدد إلا من دين الإسلام<sup>(٣)</sup>.

وهو حركة «من الحركات الهدامة التي نشأت في البيئة الإسلامية، وأثّرت في العقلية العربية والإسلامية تأثيراً كبيراً»<sup>(٤)</sup>. «فهني أبعد أثراً في تشويه حقائق الدين، وأشد منافاة لروحه، وأقوى تأثيراً في تفريق كلمة المسلمين؛ لأنها ترجع في أصلها إلى نزعة غامضة مبهمّة، تسترت في أول أمرها بالانقطاع للعبادة والتجرد من الأسباب والعزوف عن اللذات الجسدية والتظاهر

(١) ينظر: أعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم، د. سهيل بن رفاع الروقي العتيبي، سلسلة مشروع وزارة لتعليم العالي لنشر ألف رسالة علمية (٥٦)، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٦هـ)، ٨٥٧/٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق.

(٣) هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، ط٣، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ)، ص ١٤، ١٩.

(٤) موقف الإسلام من التصوف، عمر عطا الله أبو أصبع، رسالة ماجستير غير منشورة، (القاهرة، معهد الدراسات الإسلامية، ١٣٩٨هـ)، ص ٢٩١.

بالخصوصية. وكانت تأخذ منتحليها بشيء من مظاهر المسيحية وهو التسليم المطلق، وشيء من مظاهر البرهمية وهو تعذيب الجسد وإرهاقه توصلاً إلى كمال الروح، زعموا. وأين هذا من روح الإسلام وهدى الإسلام؟...

وقد اتسع صدرها بعد أن تعددت مذاهبها، واختلفت مشاربها في القرون الوسطى والأخيرة من تاريخ الإسلام، فانضوى تحت لوائها كل ذي دخيلة سيئة وعقيدة رديئة، حتى أصبح التصوف حيلة كل محتال، وحلية كل دجال<sup>(١)</sup>.

#### ثانياً: سبب تسمية الصوفية:

ليس هناك اتفاق على سبب تسمية الصوفية بهذا الاسم، بل تفاوتت الآراء واختلفت: فذهب «قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصُّفَّة... فإن أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ وما لهم أهل ولا مال فبُئيت لهم صُفَّة في مسجد رسول الله ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وقيل : نسبة إلى لبس الصوف، إذ كانوا يلبسونه إظهاراً للخشونة والزهد والتقشف في المعيشة. ورجح هذه النسبة ابن تيمية<sup>(٣)</sup>، وابن خلدون<sup>(٤)</sup>. وقيل غير ذلك.

ونسبتهم إلى لبس الصوف هو الراجح؛ لأنه هو الظاهر من حالهم، أما نسبتهم إلى (الصفة) فلا يصح لغة ولا معنى، فإن النسبة اللغوية إلى أهل الصفة - كما يقول ابن الجوزي -

(١) الطرق الصوفية للإبراهيمي، ص ٣٢-٣٤.

(٢) تلبس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق د. السيد الجميلي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ)، ص ٢٠١.

(٣) مجموع الفتاوى ٦/١١.

(٤) مقدمة ابن خلدون ١/٢٨١.

: (صُفِّي)، لا صوفي، وأما من حيث المعنى: فإن أهل الصفة إنما قعدوا في المسجد ضرورة، وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة، فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: نشأة الصوفية:

تتبع (كحالة) نشأة لفظ (الصوفي) و(الصوفية) في التأريخ الإسلامي، فوجد أن لفظ (الصوفي) ظهر في منتصف القرن الثاني للهجرة، أما صيغة الجمع (الصوفية) فإنها ظهرت عام ١٩٩هـ، وكانت تدل على مذهب من مذاهب التصوف نشأ في الكوفة يكاد يكون شيعياً<sup>(٢)</sup>. من هنا يمكن القول: بأن (الصوفية) لم تظهر في عصر النبي ﷺ، ولا الصحابة رضي الله عنهم، ولا التابعين رحمهم الله تعالى.

ومع تتابع الأجيال صارت الصوفية تحمل مؤثرات غير إسلامية، وتعرجت في عدة اتجاهات حتى كادت أن تنقطع الصلة بينها وبين الإسلام<sup>(٣)</sup>، أو انقطعت. وهذا مصداق ما قاله عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «يجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا - يعني مفصل الأئمة - فإن تركتموهم جاءوا بالطامة الكبرى»<sup>(٤)</sup>.

### رابعاً: أصول الصوفية:

(١) تلبس إبليس، ص ٢٠١.

(٢) الفلسفة الإسلامية وملحقاتها، عمر رضا كحاله، (دمشق، المؤلف، ١٣٩٤هـ)، ص ٢٣٢.

(٣) دراسات في الفرق، أ.د. صابر طعيمة، (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ)، ص ١٠١.

(٤) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية، لابن بطة عبيد الله بن محمد العكبري، تحقيق رضا نعسان، ط ٢،

(الرياض، دار الراية، ١٤١٥هـ)، ٣٣١/١.

تشعبت الآراء وتنوعت في أصول الصوفية ومصادره، وتعددت تعدداً كبيراً<sup>(١)</sup>. لكن ترجع أصول الصوفية إجمالاً إلى خليط من آراء وأفكار منحرفة، تستمدّها من أديان ومذاهب شتى، حيث يظهر فيها جلياً غلو الشيعة، ومبادئ الباطنية<sup>(٢)</sup>، وآراء النصرانية، والهندوكية<sup>(٣)</sup>، والبوذية<sup>(٤)</sup>، وغير ذلك من الديانات والفلسفات القديمة<sup>(٥)</sup>. وإذا كانت أصول التلقي عند أهل السنة والجماعة هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، فإن أصول التلقي عند الصوفية مختلفة تماماً، فأصولهم الرئيسة ثلاثة، هي<sup>(٦)</sup>:

١- الكشف: وهو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية.

٢- الذوق: وهو عندهم: نور عرفاني، يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه .

(١) ينظر: التصوف: المنشأ والمصدر، إحسان إلهي ظهير، (لاهور: باكستان، إدارة ترجمان السنة، ١٤٠٦هـ)، ص ٤٩.

(٢) ظهرت الباطنية في القرن الثالث الهجري، تسترت بالتشيع وحب آل البيت، وأبطنت الكفر. غرضها الدعوة إلى دين المجوس وإبطال دين الإسلام. والباطنية من أخص وأرذ المذاهب، وأهله من عتاة البشر وأفسد المخلوقات، ومن أعدى أعداء المسلمين قديماً وحديثاً، وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/٢-٩٨١-٩٨٢؛ وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ١/٢٧١، ٢٧٦.

(٣) أو الهندوسية: "ديانة وثنية، يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر". الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٢/٧٢٤.

(٤) البوذية: فلسفة وضعية، انتحلت الصبغة الدينية، ظهرت في الهند بعد الديانة الهندوسية، على يد مؤسسها (سدهارتا جوتاما) الملقب بـ(بوذا) (ت ٥٦٠ ق.م). وكانت في البداية تناهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان، وتدعو إلى الخشونة ونبد الترف، وتنادي بالحبّة والتسامح. ثم تحولت بعد موت مؤسسها إلى طابع وثني، وقد غالى أتباعها حتى ألّهُو مؤسسها. المرجع السابق ٢/٧٥٨.

(٥) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ٢/٥٧٦؛ وينظر: التصوف: المنشأ والمصدر، ص ٤٩-٥٠.

(٦) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية: عرضاً ونقداً، د. صادق سليم صادق، ط ٢، (د.م، المؤلف، ١٤٢٧هـ)، ص ١٠٦-١١٦، ١٢٣، ٣٩٤، ٤٦٨، ٤٧١.

٣-الوجد: وهو حالة يُثمرها السماع، والوجد -عندهم- وارْدُ حق جديد عقيب السماع، يجده المستمع من نفسه.

والوجد الصوفي مرتبط بسماع الأشعار المطربة المملحنة بالأنغام والأوتار والدفوف. وهناك أصول أخرى للتلقي وهي كثيرة، من أهمها<sup>(١)</sup>:

١-التلقي عن الأموات، من الأولياء، والأنبياء عليهم السلام، والمشايخ.  
٢-الإلهام، وهو إلقاء شيء في القلب يطمئن إليه، من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة.

٣-الفراسة، وهي معرفة كوامن النفوس، والإشراف على ضمائر الخلق، وما يرد على الخواطر.

٤-الهاتف، وهو سماع خطاب يصل إلى الأذن.

٥-الإسراءات والمعاريج، ويعنون به: عروج الأولياء إلى العالم العلوي، وإتيانهم بشيء من العلوم والأسرار.

٦-الرؤى والمنامات.

وهم بذلك قد خالفوا هدي النبي ﷺ، وهدي أصحابه رضي الله عنهم، القائم على الاتباع دون الابتداع، إذ «العبادات مبناها على الشرع والاتباع، لا على الهوى والابتداع، فإن الإسلام مبني على أصليين: أحدهما: أن نعبد الله وحده لا شريك له. والثاني: أن نعبد به ما شرعه على لسان رسوله ﷺ، لا نعبد بالأهواء والبدع، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴿٢﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) المرجع السابق، ص ١١١-١١٣، ١١٦-١١٩، ١٧١، ١٨٥.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٨، ومن الآية: ١٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٨٠/١.

وقد أدى اعتماد الصوفية على أصول لم يأذن بها الله تعالى، إلى تعدد الطرق الصوفية  
تعددًا كبيراً، وتوالدها باستمرار؛ فكل تابع طريقة قد يأتيه إلهام بطريقة من الذكر جديدة تتكون  
عنها طريقة صوفية جديدة<sup>(١)</sup>.

---

(١) ينظر: الفلسفة الإسلامية وملحقاتها، ص ٢٦٢-٢٦٣.



## المطلب الثاني: رصد (راند) انتشار الصوفية، ورصدها موقف أهل السنة منها:

قام عدد من دراسات (راند) برصد انتشار الصوفية في العالم الإسلامي، ورصد موقف أهل السنة منها.

فقد أشار (فولر) إلى قوة انتشار الصوفية في أفريقيا، وأوضح أن التصوف أمر تكرهه الجماعات الإسلامية (التقليدية)، التي تسعى إلى تنقية عقائد المسلمين منه<sup>(١)</sup>. كما أشار في دراسة أخرى إلى قوة انتشار الصوفية في جنوب آسيا، وبروزها بصفة سمة رئيسة في المدارس الدينية، وأشار إلى قوة انتشارها في أفغانستان، حيث تقع موقع القلب في كثير من الجماعات الدينية هناك. ويقول: إن (الوهابية) في أفغانستان-برفضها الشديد للصوفية- أساءت بحدّة إلى التقاليد الدينية الأفغانية<sup>(٢)</sup>.

وترصد دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) انتشار الصوفية في العالم الإسلامي، وتشير إلى أنها منتشرة بقوة في كل من وسط آسيا، وتركيا، وشمال أفريقيا وغربها، وجنوب آسيا، وجنوب شرقها؛ حيث تقوم في هذه المناطق بمهام دينية وسياسية مهمة<sup>(٣)</sup>. كما تشير إلى انتشار عدد من الجماعات الصوفية في الشرق الأوسط، وبخاصة في مصر والسودان والعراق، وتشير إلى ممارسة بعض الصوفيين طقوسهم سرّاً في المملكة العربية السعودية<sup>(٤)</sup>. وأن كثيراً من الدول العربية تمنح عطلة لإحياء المولد النبوي، وهو من الطقوس الصوفية، والتي يعدها الأصوليون و(الوهابيون) بدعة<sup>(٥)</sup>. وتشير الدراسة أيضاً إلى أن الصوفية لا تزال هي الأكثر نفوذاً وتأثيراً في المغرب العربي<sup>(٦)</sup>.

(١) Algeria: The Next Fundamentalist State? P. 83

(٢) Islamic Fundamentalism in Afghanistan. P. 19. fn 17

(٣) The Muslim World after 9/11. P. 22

(٤) المرجع السابق: P. 75

(٥) نفسه: P. 149

(٦) نفسه: P. 79

ويرصد (أنجل راباسا) في كتابه المنشور عام ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م، مدى انتشار الصوفية في شرق أفريقيا، ويرى أن لها أثراً كبيراً، وتمثل قاعدة مهمة من الهيكل الاجتماعي في شرق أفريقيا، في السودان، والصومال، وأثيوبيا، وكينيا، وتنزانيا، ويبيّن أشهر الفرق الصوفية المنتشرة هناك. ويقول: إن التصوف قد تعرض لضغوط من (الوهابيين) والسلفيين، الذين يسعون إلى تنقية الإسلام مما لحق به من تحريف، وإعادة الناس إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وينظرون إلى المعتقدات والممارسات الصوفية بأنها بدعة يجرمها الإسلام<sup>(١)</sup>.

ويرى (راباسا) أن المنافسة الفكرية العقيدية في شرق أفريقيا تتجلى بين الصوفية وبين السلفية والتفسيرات (الوهابية) للإسلام<sup>(٢)</sup>.

يرى تقرير (بناء شبكات) أن الصوفية والتيارات (المعتدلة) هي المنتشرة في البلقان، على الرغم من وجود المؤسسات السعودية، والدعاة الناشطين في البوسنة وأجزاء أخرى من المنطقة، وسيطرة (الوهابيين) على بعض المساجد والمؤسسات الإسلامية، ثم يعدد التقرير بعض المؤسسات والجماعات الصوفية هناك<sup>(٣)</sup>.

وتشير دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) إلى أن السلفيين و(الوهابيين) أعداء صارمون للصوفية؛ لأنها تقوم بإفساد الإسلام. كما تشير إلى أن موقفهم هذا يعود إلى كتابات ابن تيمية رحمه الله. كما تشير إلى أن حركة طالبان كان لها موقف معاد للصوفية، وسعت إلى استئصال الشعائر الصوفية المتمثلة بالذكر والغناء والرقص. وتلوم الدراسة مؤسسة الحرمين لوقوفها ضد الصوفية<sup>(٤)</sup>.

(١) Radical Islam in East Africa. P. 25-26

(٢) المرجع السابق: P. 40

(٣) Building Moderate Muslim Networks. P. 102-103

(٤) The Muslim World after 9/11. P. 22

### المطلب الثالث: دعم التصوف ونشره:

يرى تقرير (بناء شبكات) أن الصوفية حليف طبعي للغرب، ولديهم قاسم مشترك مع الغرب، كما أنه يمكن للغرب أن يوجد شراكات بين الصوفية و(التقليديين)<sup>(١)</sup>.

وتوصي (بينارد) بتعزيز مكانة المذهب الصوفي، وذلك بتشجيع التأثير الصوفي بقوة في المناهج الدراسية والحياة الثقافية في الدول التي تمارس تقاليد صوفية، مثل أفغانستان والعراق<sup>(٢)</sup>. ويوصي (راباسا) بالحد من نفوذ المؤسسات الإسلامية العاملة في شرق أفريقيا، وفي المقابل القيام بمساعدة الصوفية على نشر التفسيرات (المعتدلة) عن الإسلام، ودعم منظماتها للقيام بجدول أعمالها، ومساعدتها لتقديم خدماتها الاجتماعية<sup>(٣)</sup>.

وأشار تقرير (بناء شبكات) إلى أنه يجري في عام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م تكوين (المجلس الصوفي البريطاني) (The Sufi Council of Britain)؛ ليعارض (المجلس الإسلامي البريطاني)<sup>(٤)</sup> (Muslim Council of Britain)<sup>(٥)</sup>.

وفعلاً أنشئ المجلس في بريطانيا عام ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، باسم (المجلس الإسلامي الصوفي) (The Sufi Muslim Council)، وظهر من أهدافه أنه فعلاً يريد أن يزاحم (المجلس الإسلامي

(١) Building Moderate Muslim Networks. P. 73

(٢) إسلام حضاري ديمقراطي، ص ٥٨، وص ٧٢ ملحق (ج).

(٣) Radical Islam in East Africa. P. 77

(٤) تأسس عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، يهدف إلى تلبية احتياجات المجتمع الإسلامي، وحل مشكلاته، وتعزيز التعاون بين المسلمين، وتنسيق جهود المنظمات الإسلامية في بريطانيا، ويتبع المجلس نحو (٣٥٠) مؤسسة إسلامية داخل بريطانيا.

ينظر: موقع المجلس: [http://www.mcb.org.uk/downloads/MCB\\_acheivments.pdf](http://www.mcb.org.uk/downloads/MCB_acheivments.pdf)

(٥) Building Moderate Muslim Networks. P. 102

البريطاني)، ويحاول أن يقوم بالأعمال نفسها التي يقوم بها المجلس الأخير في خدمة المسلمين داخل بريطانيا<sup>(١)</sup>.

ويظهر أن الغرب قد توجه بقوة إلى دعم التصوف في العالم الإسلامي، فقد تلى إنشاء المجلس السابق مجلس آخر عالمي، باسم: (المجلس الصوفي العالمي)، وذلك في (لندن) أواخر عام ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩ م<sup>(٢)</sup>، وأصدر المجلس بيانًا، عرّف فيه نفسه بأنه: «منظمة إسلامية، تدعو إلى تحقيق السلم والسلام في العالم، وتتصدى للإرهاب والعنف والتشدد والتعصب، ولا تتدخل في سياسات الدول المختلفة، وتحترم كل معتقد لأي دين أو عقيدة، وتعمل على إزالة الخلافات العقائدية، وتقرب بين الأديان المختلفة؛ لتحقيق الاستقرار في دول العالم كله، وهو منظمة لها الشخصية والمعنوية المستقلة، وأغراضها نشر الدين الإسلامي (الصحيح)، والدعوة إلى الله، ونشر الوعي الديني والثقافي»<sup>(٣)</sup>.

ويقول مؤسس المجلس العالمي: «سنحاول أن نحث المسؤولين في معظم الدول من خلال المجلس العالمي على أن يدعموا الصوفية؛ لكي يوقفوا تيار السلفية الذي تمدد في العالم والذي يتسبب في نشر التعصب والتشدد»<sup>(٤)</sup>.

وقد أنشأت زوجة مؤسس المجلس جمعية صوفية للنساء، باسم: (دار النساء الصوفيات)، تستهدف المرأة المصرية<sup>(٥)</sup>.

وفي الأردن ظهر من الصحفيين من يدعو إلى إحياء الثقافة الصوفية، وجعل الأردن مركزًا عالميًا لها<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: موقع المجلس الصوفي: <http://sufimuslim.homestead.com/about/index.html>

(٢) "الصوفية في مواجهة السلفية"، الافتتاحية، مجلة البيان، ع ٢٧٩، ذو القعدة / ١٤٣١ هـ، ص ٥.

(٣) المرجع السابق؛ وموقع المجلس: <http://www.sia-sufism.org/tahadeyat.php>

(٤) "الصوفية في مواجهة السلفية"، مجلة البيان، ع ٢٧٩، ص ٦.

(٥) المرجع السابق.

(٦) الدعوة السلفية بين الطرق الصوفية والدعاوى الصحفية، علي بن حسن بن علي الحلبي الأثري،

(عمّان، الدار الأثرية، ١٤٢٨ هـ)، ص ١٢.

لقد أصبحت أمة الوسط والاعتدال هي الصوفية والفرق المنحرفة، بحسب المفهوم الأمريكي الذي يراد نشره وتعميمه على العالم الإسلامي، وأصبحت الأمة التي تقتفي سنة نبيها ﷺ وتتبع هديه هي أمة التطرف والتشدد والإرهاب!

وهكذا يلجأ الاستشراق الحديث - في سبيل تحريف الدين الإسلامي - إلى إبراز عقائد الفرق المنحرفة عن الإسلام قديمًا، وتشجيع الدراسات التي تهدف إلى إحياء تراث هذه الفرق، وكذلك إنشاء فرق جديدة منحرفة عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وتشجيعها على معارضة الإسلام وتحريفه<sup>(١)</sup>.

و"الاستشراق باهتمامه بدراسة الفرق والتصوف والفلسفة إنما يعمل على إثبات التحريف في الإسلام، ويحاول جاهدًا أن يعلي من شأن المحرف ويضخم مكانته في الإسلام، بل ويعتبره الممثل الحقيقي للفكر الإسلامي تجاهلاً واحتقاراً منه للفكر الإسلامي الصحيح من ناحية، وتعبيراً عن رغبته في تدمير الدين وتشويهه من ناحية أخرى"<sup>(٢)</sup>.

ويلتقي الاستشراق الحديث مع الاستشراق السابق بالتركيز على إظهار الفرق والمذاهب المنحرفة بين المسلمين وإنشائها، والتمكين لها، وتوجيهها ودعمها.

(١) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ٣٨٢-٣٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨٤.

## المطلب الرابع : أسباب اختيار الغرب للصوفية:

قضية الاهتمام بالتصوف ليست جديدة في الاستشراق، فقد تفرغ لدراسته خلال القرنين المنصرمين عمالقة الفكر الاستشراقي، بالإضافة إلى مئات المستشرقين الذين جعلوا من التصوف أحد أبرز اهتماماتهم في الدراسات الإسلامية<sup>(١)</sup>.

وقد وجد الغرب في الصوفية عدة مزايا تخدم الأهداف الغربية والصهيونية، وتسيء في نفس الوقت إلى الإسلام وأهله؛ فدعا إلى دعم الصوفية، ونشرها بين المسلمين؛ لأنها تحقق له كثيرًا من مصالحه، وتذلل أمامه العقبات والصعوبات.

وفيما يلي أبرز الأسباب التي جعلت الغرب يختار الصوفية ويطلب دعمهم:

### ١-تخاذل الصوفية عن الجهاد في سبيل الله تعالى، وتخذيّلهم عنه:

تعرّض العالم الإسلامي لهجمات قوية من قبل أعدائه عبر عصور التاريخ، ولمّا كان المسلمون متمسكين بدينهم، وكانوا أكثر استعدادًا للجهاد في سبيل الله، استطاعوا أن يردوا حملات أعدائهم. ولكن لما ضعف المسلمون وكثرت فيهم البدع والخرافات، واجتالّتهم الطرق الصوفية، ولجأ بعضهم إلى التعلق بالقبور والتمسح بها والذبح لها ودعاء الموتى، واستسلم بعضهم للملذات الدنيا، وتشبّث بعضهم بالأفكار الوافدة، وأهملوا إعداد القوة، وقعدوا عن الجهاد، انقض عليهم الأعداء من كل جانب. ولم تنته الحربان العالميتان إلا والعالم الإسلامي بأسره -سوى دول قليلة- يقبع تحت السيطرة الغربية النصرانية، أو الروسية الملحدة<sup>(٢)</sup>.

(١) آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، د. محمد خليفة حسن، (القاهرة، عين للدراسات

والبحوث، ١٩٧٧م)، ص ٢٢.

(٢) العلمانية وموقف الإسلام منها، ص ٥٩.

و«الطرق الصوفية تبث روح الكسل والخمول، والتواكل بين المسلمين، وعدم الجِد في أمور الدين والدنيا، وعدم الأخذ بأسباب القوة في مواجهة أعداء الإسلام»<sup>(١)</sup>. وهناك نصوص ثابتة عن بعضهم، «تبين حالهم، وتركهم لمظاهر القوة، ودخولهم في سلك المستضعفين»<sup>(٢)</sup>، وتركهم العمل بالأسباب الحسية لمداغة الأعداء، وحضهم الحكام والأمراء على ذلك، حتى مع قرب الخطر، وإقبال جيوش الأعداء، وحصرهم أسباب المدافعة بالدعاء فحسب<sup>(٣)</sup>. وهو منهج مخالف لسنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومخالف لسنة الله تعالى في الخلق، فقد أمر الله عباده بالأخذ بالأسباب وإعداد القوة المناسبة.

«وهذه النظرة السلبية إلى الحياة كانت خير عون للمستعمرين للاحتلال وسلب خيرات البلدان الإسلامية»<sup>(٤)</sup>. وكلما كثر الصوفية في البلد كانت البلد لقمة سائغة للغازي والمحتل، لا يتكبد في الاستيلاء عليها شيئاً كثيراً، ولا يتفلسف عليه منها بعد الاستيلاء شيء. ومن عقائد الصوفية ما تُسقط واجب الجهاد في سبيل الله تعالى بالكلية<sup>(٥)</sup>.

قال ابن تيمية رحمه الله عن الصوفية: «وأما الجهاد في سبيل الله، فالغالب عليهم أنهم أبعد عنه من غيرهم، حتى نجد في عوام المؤمنين: من الحب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحبة والتعظيم لأمر الله، والغضب والغيرة لمحارم الله، وقوة المحبة والموالاتة لأولياء الله، وقوة البغض

(١) الطرق الصوفية: نشأتها وعقائدها وآثارها، د. عبد الله بن دجين السهلي، (الرياض، دار كنوز إشبيلية، ١٤٢٦هـ)، ص ١٥٣-١٥٤.

(٢) القادرية في موريتانيا: عرض ونقد، محمد الداه أحمد، رسالة ماجستير غير منشورة، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى: كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤١٢هـ)، ٣٧٠/١.

(٣) ينظر: أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية، ص ٢٦٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٧١.

(٥) قال د. محمد البهي: «نلاحظ أن المستشرقين يسرفون في تمجيد (التصوف الإسلامي) في فترته الأخيرة التي يدعو فيها إلى عقيدة الحلول والفناء في (الحب الإلهي)، وذلك لأنهم يرون في مثل هذا الانحدار صرفاً للمسلمين عن الجهاد في سبيل الله؛ فالاعتقاد بـ(الحلولية) يسقط التكاليف كلها، ومن بينها الجهاد». الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ١٩٤.

والعداوة لأعداء الله، ما لا يوجد فيهم، بل يوجد فيهم ضد ذلك. ومعلوم أن أهل الإيمان والصلاح منهم لا يفقدون هذا بالكلية، لكن هذا السماع المحدث - هو وتوابعه - سبب ومظنة لضعف الجهاد في سبيل الله، حتى إن كثيراً منهم يعدُّون ذلك نقصاً في طريق الله وعبادته ومنافياً للسلوك الكامل إلى الله<sup>(١)</sup>.

وفي حرب فلسطين عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م فرَّ المتصوفة ولم يثبتوا في المواجهة<sup>(٢)</sup>.

هذا موقف الصوفية بشكل عام من الجهاد في سبيل الله، وهذه هي الصفة الغالبة فيهم؛ إذ التربية الصوفية تعتمد على الدعة في الزوايا، مع سماع الأناشيد والأشعار، والاعتقاد بأن إرادة الله نافذة ولا مجال عندهم لدفع العدو بالجهاد. كل ذلك أبعدهم عن الجهاد في سبيل الله، بل جعل أكثرهم يوالي أعداء الله، أو ينزوي عن أحداث الأمة ونكباتها<sup>(٣)</sup>.

وذلك أمر معلوم لدى الخبراء الأمريكيين، يقول محلل سياسي سابق في (راند): "يعتقد الاستراتيجيون الأمريكيون بشكل متزايد أن الحركة الصوفية بأفرعها العالمية قد تكون واحداً من أفضل الأسلحة ضد تنظيم القاعدة والإسلام الجهادي"<sup>(٤)</sup>. ويقول محلل سياسي آخر سابق في

(١) الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمه الحراني، تحقيق د. محمد رشاد سالم، (الرياض، جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ)، ١/٢٦٨.

(٢) ينظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، ط ٣، (جدة، مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤١١هـ)، ص ٤٠٥ -

٤٠٧.

(٣) بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة: الإرجاء، الغلو في الدين (التطرف)، التصوف،

محمد حامد الناصر، (جدة، مكتبة السوادبي، ١٤١٦هـ)، ص ٣٠٧.

(٤) تقرير: قلوب وعقول ودولارات، ديفيد كابلان، ترجمة د. إبراهيم علوش، (الملحق الأول)، وأصله في

مجلة: (U.S.News)، ١٧/٤/٢٠٠٥م. نُشرت الترجمة على الموقع التالي:

<http://www.freearabvoice.org/articles/OkoolWaKloobWaDollars.htm>



(راند)<sup>(١)</sup>: هناك اختلاف مهم بين الصوفية و(الأصوليين) في معنى الجهاد، فالجهاد لدى الصوفية: بذل الجهد من أجل التطهير الروحي الشخصي. بينما معناه عند (الوهابيين): القتال من أجل انتصار عالمي للإسلام<sup>(٢)</sup>.

وإن كان هناك - خلال تاريخ المسلمين - قلة من الصوفية قاموا بالدفاع عن أرض الإسلام وقتال الغزاة<sup>(٣)</sup>، فإن المنهج العام لديهم المسالمة والمواذعة، وهو ما أدركه تقرير (راند): (بناء شبكات)، حيث يرى أن الصوفية قاموا في بعض الحالات بدعم جماعات عسكرية، لكنهم على وجه العموم ينتمون إلى جانب (الاعتدال)<sup>(٤)</sup>.

فهكذا وجد الغرب أن الصوفية «لا تصلح لأمة تريد أن تقود الحياة بقوة الحق والعدل إلى الخير العام، وأن تتزعم العالم في سلام وأمن»<sup>(٥)</sup>؛ فعملوا على دعمها، ونشر دعوتها في أمة الإسلام.

(١) هو: (ألكس ألكسييف Alex Alexiev).

(٢) فهم الصوفية واستشرف أثرها في السياسة الأمريكية، تقرير مؤتمر مركز نيكسون، مارس/ ٢٠٠٤م،

المنعقد في واشنطن العاصمة، إعداد: توبياس هيلمستروف وياسمين سينر وإيميت توهي، ترجمة د. مازن

صلاح مطبقاني، منشور رقمياً، د.ت، ص ٣٢.

(٣) ينظر: الغارة على العالم الإسلامي، ص ٦٣.

(٤) Building Moderate Muslim Networks. P. 74

(٥) هذه هي الصوفية، ص ١٦٩.

## ٢-مؤازرة الصوفية الاستعمار:

لدى الطرق الصوفية القابلية للتوظيف من قبل الاستعمار<sup>(١)</sup>؛ لذلك يُكوّنون خطرًا على البلاد، فإنهم لا يتقاعسون عن التعاون مع الاستعمار إذا ضمنت مصالحهم المادية الخاصة، وهم علاوة على ذلك فإنهم مستسلمون دائمًا للعدو لا يحركون ساكنًا<sup>(٢)</sup>.

و«للطرق الصوفية تاريخ غير مشرف في التعاون مع أعداء الإسلام، كتعاونهم مع التتر، والنصارى قديمًا في الحروب الصليبية، وفي زمن الاستعمار، ومع الأحزاب العلمانية والملحدة في بلاد المسلمين، حري أن يجلى هذا التاريخ ليحذر المخلصون»<sup>(٣)</sup>.

ذكر ابن تيمية رحمه الله: أنه لما ظهر المشركون التتار وأهل الكتاب في بلاد المسلمين في زمنه، كثر في عبّاد الصوفية وعلمائهم من صار مع المشركين وأهل الكتاب وارتد عن الإسلام<sup>(٤)</sup>. هـ.

وأبان عن حقيقة الصوفية في القرون المتأخرة سوء موقف بعض الطرق من الاستعمار وولائها له، سواء في سلبيتها تجاهه عند دخوله البلاد، أم تواطئها معه أثناء ذلك، أم تعاملها فيما بعد<sup>(٥)</sup>.

وقد اشتهر في المغرب الإسلامي أن الاستعمار الفرنسي وجد من يساعده من بعض الطرق الصوفية. ومن أمثلة ذلك: أن الصوفية في الجزائر قامت بتذليل الصعاب للمستعمر

(١) الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (١٨٨١-١٩٣٩م)، التليلي العجيلي، (منوبة:

تونس، كلية الآداب، ١٩٩٢م)، ص ٢٦٣.

(٢) التصوف بين الحق والخلق، محمد فخر شقفة، ط ٣، (الكويت، الدار السلفية، ١٤٠٣هـ)، ص ٢١٥.

(٣) الطرق الصوفية للسهلي، ص ١٧٩-١٨٠.

(٤) مجموع الفتاوى ٢١٥/١٣.

(٥) ينظر: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، ص ٢٦٠.

الفرنسي، وتثبيط هم الناس عن الجهاد<sup>(١)</sup>.

كما أن الصوفية في تونس سهّلت للمستعمر الفرنسي احتلال تونس، وقامت -بما تملكه من نفوذ أدبي ومادي- بمؤازرة الاستعمار، وتهدئة الناس وضبطهم عن مقاومته<sup>(٢)</sup>. إلى غيرها من أمثلة يعلمها من استعرض تاريخ الحروب الصليبية وتاريخ الاستعمار للبلاد الإسلامية. قال محمود أبو رية: «الكلام في أمر رجال الطرق الصوفية ومناصرتهم في كل زمن لأعداء الدين والمسلمين من المستعمرين في أقطار الأرض عامة، وشمال أفريقيا خاصة مما يحتاج إلى مؤلفات»<sup>(٣)</sup>.

### ٣- عدااء الصوفية لأهل السنة، والتزامهم طريقة تهدم الإسلام:

للطرق الصوفية عدااء سافر للعلماء والمصلحين من أهل السنة، وقد أودى بسببهم سابقاً عدد من العلماء والدعاة، ولا يزال عداؤهم للسنة وأهلها قائماً<sup>(٤)</sup>. قال الإبراهيمي رحمه الله<sup>(٥)</sup>: «ومن مكرها الكُبار أن تعمد إلى العلماء وهم ألسنة الإسلام المنافحة عنه فترميها بالشلل والخرس... فقد ابتلت هذه الطرق علماء الأمة في القديم بوساوسها وأوهامها... وفي وقتنا هذا بلغ الحال بالطرق أنها أذلت العلماء إذلالاً، واستعبدتهم استعباداً، ولم ترض منهم بما رضيه سلفها من سلفهم من حفظ الرسم واللقب وإبقاء السمة

(١) ينظر: مخازي الولي الشيطاني الملقب بالتجاني الجاني، إبراهيم القطان، في ذيل: مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، محمد الخضر الشنقيطي، (عمّان، دار البشير، ١٤٠٥هـ)، ص ٦١٦-٦٢١.

(٢) ينظر: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، ص ١١٥-١٢٢، ١٥٢-١٥٤.

(٣) السيد البدوي، محمود أبو رية، ط ٣، (القاهرة، د.ن، مطبعة الإمام، د.ت)، ص ١٩.

(٤) الطرق الصوفية للسهلي، ص ١٦٠.

(٥) محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، مجاهد جزائري من كبار العلماء، وأحد أعضاء المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، تخرّج على يديه علماء كبار، وانتُخب رئيساً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. من مؤلفاته: شعب الإيمان، وأسرار الضمائر العربية. توفي عام ١٣٨٥هـ. الأعلام ٥٤/٦.

والمكانة بين العامة، بل أغرت العامة بتحقيروهم وإذلالهم<sup>(١)</sup>.

وتقوم الطرق الصوفية على إحياء البدع وإحداثها وهدم الإسلام، واشتغالها بما لا يعود على الأمة بالخير في العاجل والآجل، والانعزال عن المجتمع وترك إصلاح ما فسد من أحواله، وإخلاء السبيل للفئات المفسدة لتعبت كيف شاءت<sup>(٢)</sup>. يقول د. مصطفى حلمي: "وخشي شيوخ المدرسة السلفية في العصر الحديث خطورة النزعة الصوفية عندما بدأت تتحلل إلى أفكار وتيارات هادمة للإسلام"<sup>(٣)</sup>.

ويقول الإبراهيمي رحمه الله: "وإذا كان الناظر في أحوال المسلمين ممن رزق ملكة التعليل وأراد إرجاع كل شيء إلى أصله الأصيل ومنبته الأول، فإنه لا يعسر عليه أن يرجع أمهات علل المسلمين الدينية والاجتماعية إلى هذه الطريقة الكاذبة الخاطئة التي أصبحت من قرون فكرة تسود العالم الإسلامي وتتحكم في دينه ودنياه وتتدخل في حياته وسياسته ثم تستحكم في طباعه، فإذا هو في غمرة من الدهول مطبقة أضاع معها آخرته ودنياه"<sup>(٤)</sup>.

وأعظم ما يقومون به من هدم للإسلام: نشر الوثنية والشرك بالله العظيم، من تقديس الأشخاص من الأحياء والأموات، وعبادتهم من دون الله، يقول الباحث إدريس محمود: "والذي نشر هذه المشاهد الوثنية من بناء القباب والمساجد على القبور، وصرف عبادات لأصحابها من دون الله هم المتصوفة في الماضي والحاضر... فالصوفية هم دعاة الشرك في العالم الإسلامي"<sup>(٥)</sup>. "لقد أشرك الصوفية إشراكًا خبيثًا، وأخبت ما فيه أنه يفتن الناس عن حقيقته، فيظنونونه توحيدًا صافيًا"<sup>(٦)</sup>.

(١) الطرق الصوفية للإبراهيمي، ص ٣٦-٣٧.

(٢) ينظر: أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم في شبه القارة الهندية، ص ٢٧٠.

(٣) ابن تيمية والتصوف، (الإسكندرية، دار الدعوة، ١٤٠٣هـ)، ص ١٤.

(٤) الطرق الصوفية للإبراهيمي، ص ٣٧.

(٥) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية، إدريس محمود إدريس،

(الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ)، ٣/١٠٢٥-١٠٢٦.

(٦) هذه هي الصوفية، ص ١٦٦.

#### ٤- مشابھتهم للنصارى، ومن تشبه بقوم فهو منهم:

«لصوفية مدد من كل نخلة ودين إلا دين الإسلام»<sup>(١)</sup>. وامتدادها من النصرانية ظاهر، ومشابهة المتصوفة للنصارى بيّن. «وكل من حاول تبرئة التصوف عن كونه مأخوذاً ومقتبساً من الرهينة المسيحية لم يسعه الإنكار عن كون المسيحية إحدى مصادر التصوف، وأنه استفاد منها»<sup>(٢)</sup>.

«قَدِمَ حماد بن أبي سليمان<sup>(٣)</sup> البصرة، فجاءه فرقد السبخي<sup>(٤)</sup> وعليه ثوب صوف. فقال له له حماد: ضع عنك نصرانيتك هذه»<sup>(٥)</sup>.

ولذلك أطلق ابن تيمية رحمه الله على بعض المتصوفة عبارة: «عيسوية المحمدية»<sup>(٦)</sup>. وهذا المشابهة توجب المحبة والتقارب فيما بينهما، كما أنها توجب التباعد والتباغض فيما بين الصوفية وبين سائر المسلمين.

(١) المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) التصوف: المنشأ والمصدر، ص ٩٣.

(٣) مولى إبراهيم بن أبي موسى الأشعري، كوفي، ثقة، فقيه، صحبه أبو حنيفة ثماني عشرة سنة، توفي سنة ١٢٠هـ. تاريخ الثقات، أحمد بن عبد الله العجلي، (مكة المكرمة، دار الباز، ١٤٠٥هـ)، ١٣١-١٣٢؛ وتهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، (الهند، مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ)، ١٦/٣-١٧.

(٤) فرقد بن يعقوب السبخي البصري، رجل صالح، ليس بقوي في الحديث، وفي حديثه مناكير، كان من من نصارى أرمينية، وكان حائكاً، توفي بالطاعون سنة ١٣١هـ. تهذيب التهذيب ١٦٢/٨-٢٦٤.

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ)، ٢٢١/٤-٢٢٢.

(٦) مجموع الفتاوى ٣٤١/١٠.

## ٥- تصحيح الصوفية لعقائد الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، وتسويغهم للمسلم أن يلتحق بتلك الملل:

قال ابن تيمية رحمه الله: «كان ابن سبعين<sup>(١)</sup> وابن هود<sup>(٢)</sup> والتلمساني<sup>(٣)</sup> وغيرهم يسوغون للرجل أن يتمسك باليهودية والنصرانية كما يتمسك بالإسلام، ويجعلون هذه طرقًا إلى الله بمنزلة مذاهب المسلمين، ويقولون لمن يختص بهم من النصارى واليهود: إذا عرفتم التحقيق لم يضركم بقاؤكم على ملتكم. بل يقولون مثل هذا للمشركين عبّاد الأوثان»<sup>(٤)</sup>.

ويقول المستشرق اليهودي الأمريكي (برنارد لويس): «الصوفية رائعة! إنها تقدم شيئًا أفضل من التسامح. إن الموقف من الآخرين، من الأديان الأخرى، كما تعكسه الكتابات الصوفية، لا

(١) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين القرشي المرسى، الفيلسوف الصوفي، له كلام كثير في العرفان على طريق الاتحاد والزندقة، وله تصانيف، منها: (البُد)، و(الإحاطة)، وله أتباع يعرفون بالسبعينية، توفي بمكة سنة ٦٦٩هـ. تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د. بشار عواد معروف، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م)، ١٥/١٦٨؛ وفوات الوفيات، محمد بن شاکر بن أحمد الملقب بصلاح الدين، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٧٣-١٩٧٤م)، ٢/٢٥٣-٢٥٥.

(٢) الحسن بن علي بن يوسف بن هود المُرسى، أحد الكبار في التصوف على طريقة أهل الوحدة، صاحب ابن سبعين، واشتغل بالفلسفة والطب، توفي سنة ٦٩٩هـ. تاريخ الإسلام ١٥/٩٠٤؛ وطبقات الأولياء، عمر بن علي بن أحمد ابن الملقن، تحقيق نور الدين شريه، ط ٢، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٥هـ)، ص ٤٢٨.

(٣) سليمان بن علي بن عبد الله العفيف التلمساني، أديب بارع، رقيق الدين، من غلاة الاتحادية القائلين بوحدة الوجود، من مصنفاته: شرح الأسماء الحسنى، وشرح مقامات النفري، توفي سنة ٦٩٠هـ. تاريخ الإسلام ١٥/٦٥٤؛ وفوات الوفيات ٢/٧٢-٧٣.

(٤) الصفدية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط ٢، (الرياض، د. ن، ١٤٠٦هـ)، ١/٢٦٨-٢٦٩.

مثيل له. إنه ليس مجرد تسامح، إنه القبول»<sup>(١)</sup>.

والصوفية بهذا ترفض دلالات الكتاب والسنة المصرحة بكفر أهل الكتاب والمشركون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾<sup>(٣)</sup>. وقال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾<sup>(٤)</sup> وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ<sup>(٥)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»<sup>(٦)</sup>.

## ٦- رفض جماعات من الصوفية للشرعية الإسلامية:

يعدد تقرير (بناء شبكات) بعض أوجه القواسم المشتركة بين الغرب والصوفية، ويستشهد خلال ذلك بجماعة من الصوفية ترفض أن تقوم الدولة الإسلامية على الشريعة الإسلامية؛ لأن الدين مسألة شخصية، لا يحق للدولة إجبار جميع الناس على عقيدة معينة أو أحكام محددة<sup>(٦)</sup>.

(١) فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية، ص ٣٧.

(٢) سورة البينة، الآية: ٦.

(٣) سورة المائدة، من الآية: ٧٣.

(٤) سورة التوبة، الآيات: ١١٣-١١٤.

(٥) مسلم ١/١٣٤، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ

الملل بملته، ح ١٥٣.

(٦) Building Moderate Muslim Networks. P. 74

## ٧- قبول الصوفية بتحديث الإسلام، والتلاعب بمدلولات الكتاب والسنة، وتطوير نصوصهما وفق أهدافهم:

بعد أن تأبى منهج أهل السنة والجماعة على إذابة الإسلام في الحضارة المعاصرة، وتوقى قبول إفرازاتها المخالفة لنصوص الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة الإسلامية، توجه الغرب إلى البحث عن مناهج تقبل بتغيير الإسلام، وتحاول أن تلحقه بالنظام الغربي وتذيبه في حضارته. فوجد ضالته في فرق ومذاهب، منها الصوفية.

ترى (بينارد) أن الصوفية تمثل التأويل المنفتح للإسلام، وأنها يمكن أن تندرج تحت التيار العصري، وأنها من خلال فلسفتها، وأشعارها، وموسيقاها، تمد جسوراً قوية تربط بين مختلف الانتماءات الدينية<sup>(١)</sup>.

إنَّ مما يهم الغرب أن تحرف مدلولات النصوص الشرعية التي تتعارض مع مصالحهم؛ ويُساق لها مدلولات جديدة تتوافق مع مصالحهم، وأن تُنشر هذه المدلولات في المجتمع الإسلامي.

وقد توافر هذا في عدد من مشايخ الصوفية ومفتيهم، حيث قبلوا تطوير النصوص الشرعية، وتحريف مدلولاتها بما يجعلها تستجيب لأهدافهم التي يريدونها<sup>(٢)</sup>.

ولا عجب في ذلك إذا كان (الولي القطب) عند الصوفية هو: «الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغة إلى حد التكميل فيها، لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ومعرفته بذواتها وقدرته على شفائها»<sup>(٣)</sup>.

وجليّ ما في هذا من افتئات على الله تعالى الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة.

## ٨- قبول الصوفية بالديمقراطية:

(١) إسلام حضاري ديمقراطي، ص ٥٨.

(٢) ينظر: الفكر الصوفي في إفريقيا والغرب الإسلامي: القرن التاسع الهجري، د. محمد الكحلوي، (بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٩م)، ص ٢٢٧، ٢٥٦-٢٥٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٥٣. نقلاً عن: معجم الكلمات الصوفية، لأحمد النقشبندي الخالدي، ص ٤٦.



يعدد تقرير (بناء شبكات) بعض أوجه القواسم المشتركة بين الغرب والصوفية، ويستشهد خلال ذلك بجماعة من الصوفية تؤكد على أن مبادئ الإسلام تتوافق مع مبادئ الديمقراطية، وأن الدولة الجمهورية تتفق إلى حد كبير مع نظام الشورى في الإسلام، وتنتقد نظام الحكم في إيران والمملكة العربية السعودية<sup>(١)</sup>.

ويقول د. محمد فاغفوري<sup>(٢)</sup>: الصوفية قادرة على القيام بمهمة مزدوجة في العالم الإسلامي المعاصر؛ حيث إنها قادرة على أسلمة الديمقراطية من جهة، وقادرة من جهة أخرى على ديمقراطية الإسلام<sup>(٣)</sup>.

إن تلك المثالب السيئة في الصوفية تجعل الغرب يرغب فيهم ويدعمهم؛ ليحققوا مصالحه، ويفسدوا عقيدة المسلمين وأخلاقهم، ويجربوا مجتمعاتهم.

فلا نستغرب إذا رأينا المستعمرين يغدقون أموالهم عليهم، ويؤيدونهم بجاههم<sup>(٤)</sup>. وقد تبني الغرب -بعد أحداث ١١/ سبتمبر- دعم الصوفية، والعمل على فتح المجال لها في العالم الإسلامي، لأنه تيقن أنها ستصنع جيلاً خانعاً من المسلمين. والواقع يشير بوضوح إلى أن ذلك التبنى والدعم بدأ يؤتي أكله في أنحاء من العالم الإسلامي<sup>(٥)</sup>.

(١) Building Moderate Muslim Networks. P. 74

(٢) أستاذ الدين في الدراسات الإسلامية بجامعة (جورج واشنطن)، متخصص في المذهب الشيعي، والفكر السياسي الإسلامي، هاجر عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م إلى الولايات المتحدة من إيران بعد أن أنهى المرحلة الجامعية. موقع جامعة (جورج واشنطن)، وموقع آخر:

<http://departments.columbian.gwu.edu/religion/people/117>

<http://www.rethinkbias.org/InterfaithResources/Interviews/MohammedFaghfoory/tabid/1052/Default.aspx>

(٣) فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية، ص ٢٨.

(٤) التصوف بين الحق والخلق، ص ٢١٢.

(٥) تقرير مؤسسة (راند): "إسلام حضاري ديمقراطي: شركاء وموارد واستراتيجيات": دراسة تحليلية، صالح بن عبد الله الغامدي، رسالة ماجستير غير منشورة، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٤٣١هـ)، ص ٢٧٧-٢٧٨.

أما سبل مواجهة الصوفية فتتطبق عليهم نفس سبل مواجهة المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة، التي جرى بيانها في المبحث الثاني من هذا الفصل<sup>(١)</sup>.

وينبه الباحث هنا إلى أن طبيعة الصوفية تقوم على توالد جماعاتها، وسرعة نشوء فرق جديدة فيها، وكل حين وآخر - كما ذكر الحلبي - تشير مجلة (التصوف الإسلامي) المصرية إلى أسماء طرق صوفية جديدة<sup>(٢)</sup>.

فالغفلة عنها مع وجود الدعم الغربي لها، والإصرار على نموها ونشر دعوتها، مؤذن بفساد المجتمعات الإسلامية، وضياعها. فلا بد من منهج حازم معها.

---

(١) ص ٥٥٠-٥٧٣.

(٢) ينظر: الدعوة السلفية بين الطرق الصوفية والدعوى الصحفية، ص ٣٣.